من أسس التربية الإسلامية للشباب

إحسان موسى الربيعي*

مقدمة

في عصر تقلصت فيه المسافات، تقاربت البلدان، وأصبح العالم قرية واحدة أو غرفة واحدة، أصبح من الممكن للإنسان الاطلاع على أحوال بلاد الأرض كلها وهو جالس في مكانه، كما يمكن أن يتصل سكان الشرق بسكان الغرب مباشرة وبلا عوائق.

وبهذا أصبح سهلاً أن يتأثر الغرب بالشرق والشرق بالغرب، وأن يتأثر سكان الأرض ببعضهم من خلال وسائل الاتصال الحديثة أو ما يسمى وسائل العولمة.

لذلك فإن العلماء والمفكرين والمربين في كل بقاع الأرض أصبحوا أمام أفق واسع من البحث والتمحيص في إعداد المناهج التربوية السليمة في بناء وتربية المجتمع بكل أفراده رجاله ونسائه وأطفاله وشبابه.

وإن أهم ما تفتقر إليه البشرية اليوم هو التربية السليمة والبناء السليم لأفرادها، وهذا لن يتأتى إلا من خلال النظر في المناهج التربوية قديمها وحديثها شرقيها وغربيها واختيار الأمثل منها في بناء مجتمع مستقيم مستقر، وبناء أفراد صالحين يسهمون في بناء مجتمعهم وأمتهم والإنسانية جمعاء.

---

* محاضر بكلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا.

وإذا كان المنهج التربوي الإسلامي المستمد من تعاليم الوحي الإلهي المعصوم هو الكفيل والجدير بتقديم البلسم الشافي لما تعانيه الشريعة من مشكلات وما تواجهه من تحديات في مجال بناء الإنسان وتكوينه، إلا أن هذا المنهج يواجهه عقبات تحول دون فاعليته وتطبيقه خصوصاً عند الشباب الذين هم معين المجتمع، والذين هم أكثر من يتأثر بالمناهج المنحرفة التي يطلعون عليها من خلال وسائل العولمة الحديثة خصوصاً التلفزيون والإنترنت، حيث هم على احتكاك مباشر بتلك الوسائل لكونهم في مرحلة التحصيل العلمي والمعرفي، وفي مرحلة إرساء قواعد البناء التربوي لهم بكل جوانبه الروحية والمادية.

لذلك وجب على المربين المسلمين والتربويين أن ينتبهوا إلى هذا الأمر الذي يعتمد عليه بناء الأمة في أهمّ حلقة من أبنائها وهم الشباب، الذين يشكلون روح الأمة وعماد مستقبلها، فلو صلح الشباب أصبح مستقبل الأمة أكثر إشراقاً وأكثر أملاً في الرقي والنهوض لتتبوء أعظم المواقع بين الأمم.

وهذا البحث محاولة لاكتشاف بعض المعالم والهوادي التي تسم المنهج الإسلامي في تربية الشباب ورعايته وتكوينه، سعياً بذلك لتوجيه أنظار المهتمين من الباحثين والمخططين التربويين لما يمكن فعله لمواجهة تحديات العولمة وآثارها الثقافية والسلوكية التي تصيب حياة الشباب على نحو عميق.

أسس المنهج التربوي الإسلامي في بناء الشباب وتربيته

لقد وضع الباري عزّ وجلّ أسساً تربوية عظيمة في بناء المجتمع الإنساني بكل أفراده، ترجمها عملياً رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في حياته الشريفة، وفي أقواله وأفعاله التي أرسى فيها تلك الأسس والقواعد التربوية العظيمة في نموذج واقعي أولى فيه الشباب اهتماماً كبيراً.

وقد بين صلوات الله وسلامه عليه المنهج التربوي الذي يجب أن تقوم عليه هذه المرحلة المهمة من حياة الإنسان من خلال بيان الأسس التربوية في كل جانب من جوانب التربية، والتي يجب أن نقدمها وصفة شافية مما يعاني منه شباب الإنسانية كلها من أمراض أتت على الغالي والرخيص من حياتهم وأخلاقهم، وهذه الأسس نذكر بعضاً منها فيما يخدم الشباب المسلم وغيره، كما يلي:

أولاً: أسس التربية النفسية

الشاب في هذه المرحلة أكثر عرضة للهزات النفسية، لشدة ولعه باكتساب الأشياء وتأثره بما حوله سواءً كان صالحاً أم فاسداً، ويعتمد استقرار الشاب النفسي في جانب مهمّ منه على ما اكتسب في مرحلة المراهقة التي تسبق مرحلة الشباب، وفي الجانب الآخر على البيئة التي يعيش فيها. إلا أن رغبات الشاب تزداد قوة في هذه المرحلة، وأن قواه الجسدية والعقلية تكون في مرحلة قوية جداً للتقبل والعطاء.

ومن أهم تلك القوى الجسدية والنفسية:

1. الغريزة الجنسية

وتربية هذه الغريزة "تقوم على الاعتراف بهذه الغريزة وعدم الدعوة إلى محاربتها والقضاء عليها، بل دعت التربية الإسلامية إلى ضبطها وتنظيمها، مراعية في ذلك شدتها في بعض الأفراد".[1]

والشباب في أشدّ مراحل الغريزة الجنسية قوة واندفاعاً، لذلك وجب على المربين أن ينبهوا الشباب إلى وجوب احترام هذه الغريزة وعدم العبث من خلالها، وبيان الأضرار التي تنتج عن إطلاق العنان لها، وعدم ترك الشباب في فراغ لا يجدون ما يملؤونها به، فيكونون أكثر عرضة للفساد والانحراف، "فإذا كان الإنسان شاباً

[1] حسن، ملا عثمان، **تربية الإنسان المسلم**، ص22.

فارغاً لا هم عنده ولاشغل، نشيطاً قوي الجسم، فقد استجمع أسباب الوقوع في المفسدة، إلا ما رحم ربي عز وجل".[1]

لذلك وضع الإسلام منهجاً في ذلك للشباب، ووجه النبي الكريم ﷺ إلى أن أهم عوامل الاستقرار النفسي لدى الشباب هو الزواج فقال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج، ومن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[2] والباءة هي القدرة على تكاليف الزواج المادية، والوجاء، هو الدواء من شدة الشهوة، لأن الصوم يكسر حدتها.

وتعتبر الغريزة الجنسية من أهم مسببات الأزمات النفسية وعدم الاستقرار النفسي لدى الشاب، وتهذيبها والحد من فورانها يتم بملء وقت الفراغ لدى الشباب بالعلم أي بالدراسة والتوجه إليها، وبتوجيهه للتفكر والتدبر في حياته ومستقبله العلمي وغيره من خلال ربطه مع الدين الحنيف الذي يجعل فيه استقراراً على السبيل الصحيح في توجيه كل رغباته النفسية والجسدية فيكون منضبطاً وفق منهج الدين العظيم.

2. التربية على الفضيلة لحفظ نفسية الشباب

وذلك باتباع الدين الحنيف، وقد بشر النبي الكريم ﷺ من يتبع منهج الدين من الشباب فينشأ في ظله، بأنه سيكون آمناً يوم القيامة ومن المكرمين عند الله تعالى، وذلك بقوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل

---

1 كنعان، محمد أحمد، **أزمات الشباب أسباب وحلول**، ص93.

2 الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (241هـ)، **مسند أحمد**، (مصر:مؤسسة قرطبة) ج1، ص432، الحديث 4112 وانظر الشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب (ت 235هـ)، **مسند الشاشي**، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1410هـ) ج2، ماروى عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله، ص15.

طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه».[1]

وهنا يبين النبي الكريم ﷺ فضل الشاب الذي ينشأ على عبادة الله سبحانه وتعالى ومكانته عند الله تعالى، وذلك لتربية الشباب على الفضيلة لتنمية أخلاقهم، ليهنؤوا بدنياهم ويفوزوا بآخرهم.

والمسؤولية في تربية الشباب على الفضيلة وإعدادهم نفسياً لسلوكها، مسؤولية الأسرة والمجتمع، إذ يجب على الأبوين أن يكونا قدوة لأبنائهما الشباب من البنين والبنات، وهما اللذان يعيشان معهم في بيت واحد إذ "البيت هو التربة التي يمتص الشباب منها كل خصائصه ومقوماته، فليتق الله فيه أبواه."[2]

فالأب هو المثل لابنه الشاب، وكلما صلح الأب كان ابنه مثالاً عنه، وكلما صلحت الأم كانت البنت مثالاً عنها، لذلك يولي الإسلام العظيم كل الاهتمام بالعلاقة بين الآباء والأبناء، ووجوب بر الوالدين من الأبناء التي تجعل منهم أبناء صالحين.

3. البيئة الصالحة والنقية للشباب

من أهم أسس التربية النفسية للشباب تهيئة البيئة الصالحة لهم، وتهيئتها لهم تكون من خلال تهيئة البيئة الإسلامية الصالحة في البيت والمجتمع قدر الإمكان، لأن الشاب في هذه المرحلة هو أكثر تقبلاً للتأثيرات الخارجية عليه.

وهذه البيئة وتهيئتها من مسؤولية الوالدين أولاً والمجتمع بشكل عام ثانياً لما في ذلك من مستقبل مشرق لشبابهم الذين يقوم عليهم المجتمع بشكل عام وأسرهم بشكل خاص، وذلك يتم من خلال بيان الوالدين لأبنائهم ما يجب عليهم فعله وما يجب

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل (194هـ - 2156هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق مطفى البغا (بيروت: دار ابن كثير، 1987/1407)، ج1، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ص234.

[2] المطعني، عبد العظيم، **الفراغ وأزمة التدين لدى الشباب المعاصر الداء والدواء**، (مصر: طبع مطبعة التقدم، 1398 /1978)، ص5.

عليهم اجتنابه ومن يمكنهم أن يقتدوا ومن يجب أن يبتعدوا عنه، لأن البيئة وما فيها من أهم المؤثرات على تربية الشباب بسلبياتها وإيجابياتها لذا وجب الحرص على تجاوز السلبيات وتهيئة الإيجابيات التي يمكن أن تسهم إلى حد كبير في بناء الشباب وتربيتهم وفق الأسس الصحيحة والسليمة التي يطمح إليها الإسلام والمسلمون إلى أن يكون شبابهم شعلة من نور يهتدي بهم شباب الغرب وغيرهم.

ومن أمثلة التربية الصحيحة تلك من الوالدين ما بينه الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لابنه الحسن ﷺ بقوله: "يا بني إني لما رأيتني قد بلغت سنا، ورأيتني أزداد وهناً، أردت بوصيتي إياك خصالاً منهن، إني خفت أن يعجل بي أجلي قبل أن أفضي إليك بما في نفسي، وأن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى، وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور، فإن قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك، وتستقبل بجد رأيك ماقد كفاك أهل التجارب بغيبة وتجربة، فتكون قد كفيت مؤنة الطلب وعوفيت من علاج التجربة."[1]

هكذا يبين علي كرم الله وجهه أن مرحلة الشباب هي مرحلة الغرس، لذلك يجب غرس البذور الطيبة بالتربية الصالحة على مبادئ الإسلام العظيم وتعليمه الفضيلة لكي يستقر نفسياً وتكون له الرغبة باتباع الحق والمنهج القويم والرغبة في الالتزام وعمل الخير، وصلاحه نفسياً وعقلياً وجسدياً.

ثانياً: التربية الروحية

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان مركباً من الروح والجسد، والنفس من توابع الجسد، والروح هي التي تمده بالحياة والفضيلة، إذ هي التي جعلت هذا المخلوق

---

1 الأديب، علي محمد حسين، **منهج التربية عند الإمام علي** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2)، ص37.

موضع التكريم والتشريف بسجود الملائكة، إذ يقول جل شأنه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص: 72).

لذلك رسم الله سبحانه وتعالى منهجاً عظيماً في تربية الإنسان بكل تكوينه، بنفسه وروحه وجسده، والتربية الروحية للإنسان من أهم جوانب التربية له وخصوصاً في هذه المرحلة المهمة من حياته وهي مرحلة الشباب التي بيناها وبينا أهميتها.

والتربية الروحية في القرآن الكريم تكون بالحث على كل المعاني الروحية التي تربي الإنسان، وذلك من خلال تنمية روح الوحدانية لله سبحانه وتعالى والإيمان بها، وروح العبودية لله تعالى ونبذ كل ما سواه، وروح الجهاد، وروح العمل، وروح العبادات كالصلاة والصوم والزكاة.

والمعاني الروحية التي حث القرآن الكريم عليها تبدأ مع الإنسان منذ صغره، يقول الشيخ عبد الحليم محمود "أن الروح هي أشرف ما في الإنسان لأنها نفخة من الله سبحانه وتعالى، ولابد لها من تربية تستهدف تيسير السبيل أمامها لمعرفة الله سبحانه وتعالى وتعويدها وتدريبها على القيام بأعباء العبودية له سبحانه وتعالى."[1]

هذا وقد رسم الباري عزوجل للتربية الروحية منهجاً من خلال ما يلي:

1. الحث على الفضائل

وذلك من خلال تربية الإنسان على كل معاني الفضيلة، ومن خلال تربية عقله لكي "يفكر فيما حثه عليه القرآن الكريم من فضائل الأعمال، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والاهتداء لما في هذا الكون الفسيح من عبر وآيات تهدي العقل إلى الفضيلة وتحول بينه وبين الضلال والجنوح إلى المعاصي. وتربية الروح تكون بتحسين صلتها بالله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال الآيات الكريمة

---

[1] محمود، عبد الحليم، **التربية الروحية** (بيروت: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 1415 / 1995)، ص99 (بتصرف).

التي تحث على التفكر، واتباع نهج الحق، لكي يصلح سلوك الإنسان في كل حياته وكيانه وعقله وقلبه."[1]

ويبين لنا ذلك الرسول الكريم ﷺ بقوله: «إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[2] وهذا الحديث الشريف يحث على الفضائل وتجنب الشبهات والمحارم، وهي أفضل سبل التربية الروحية.

2. الحث على الأذكار والتفكر

يرسم لنا القرآن الكريم في ذلك المنهج العظيم، أن الذكر هو سبيل الاطمئنان في النفس والروح، حيث يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28). و"الطمأنينة من الآثار الروحية في القلب، وسكينة النفس أيضاً، وذلك بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: 4).

وإذا اطمأن القلب وسكنت النفس شعر الإنسان ببرد الراحة وحلاوة اليقين، وتحدى الأهوال بشجاعةٍ وثبت إزاء الخطوب مهما اشتدت، ولايعرف اليأس إلى قلبه سبيلا".[3]

وإذا تم هذا في مرحلة الشباب أثمر رجالاً مؤمنين صالحين أقوياء يبنون أنفسهم ومجتمعهم ويكونوا قاعدة للبشرية.

---

1 الربيعي، إحسان، **الروح في القرآن الكريم** (رسالة ماجستير غير منشورة، 1999)، ص197.

2 النيسابوري، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، (261هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بيروت)، ج3، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ص1219.

3 سابق، سيد، **العقائد الإسلامية** (القاهرة: دار الفتح للإعلان العربي، 1992/1412)، ص19.

ونرى ذلك في الشباب الذين أعدهم النبي الكريم ﷺ وأحاطهم بتربيته، ومنهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي شب في كنف النبي ﷺ ونهل من ذلك المنبع الصافي العظيم، فأصبح ذلك الشاب العظيم الذي ضرب مثلاً رائعاً بالإيمان والشجاعة، وذلك في يوم الخندق في قصته مع عمرو بن عبدود.

هكذا هي روح الشباب المؤمن، وهكذا هي التربية الروحية تنتج أبطالاً يحملون هذه الروح العظيمة يكونون معها قادرين على مقارعة أعتى عتاة الأرض وأشدهم، والثبات على الحق وعدم الخوف والطمأنينة بالنفس لنيل العلا، وهذا ما ترويه لنا هذه القصة، إذ أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو ابن عشرين سنة يحمل هذه الروح العظيمة وهذا الفكر وهذا النبل حتى ليغضب لله ويهزم جيشاً بقتل أعتاهم، ويعف عن سلبه وكان يلبس أفخر الثياب إذ هو ثالث قريش وأشدهم قوة، فلم يسلبه شيئاً لكي لا يرى أنه طمع في سلبه وأنه إنما قتله لله سبحانه وتعالى.

هكذا يجب أن يكون الشباب المسلم وأن يحملوا هذه الروح التي يربيها لنا النبي الأكرم ﷺ، ويرسم لنا المنهج في ذلك لكي نربي شبابنا على هذه الروح التي رسمت أروع صور الثبات على الحق والإيمان في تاريخ البشرية كلها.

ومن ذلك أيضاً ذلك الشاب الذي أولاه النبي ﷺ من العناية والرعاية وسقاه من نفس المنهل العذب في التربية الروحية، وهو أسامة بن زيد رضي الله عنهما عندما ولاه قيادة الجيش وكان فيه كبار الصحابة، حيث كان ذلك دليلاً على اهتمامه ﷺ بالشباب، وقد كان أسامة ﷺ في العشرين من عمره.

3. التربية على حسن الظن بالخالق والمخلوق

وذلك لأن من أهم أسس البناء الروحي التي تجعل نفس المؤمن مطمئنة وبعيدة عن كل ما يساورها من شكوك وسوء ظن، إذ ينهى الله سبحانه وتعالى عنه بقوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ

تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: 12). وهذه الآية الكريمة تنهى عن سوء الظن وتأمر بعكسه أي حسن الظن الذي هو من نتائج قوة النفس والروح وثباتها.

وإن فوائد حسن الظن كثيرة، منها حسن معاشرة الناس والعيش معهم براحة وأمان روحي ونفسي "حيث يجب أن يحسن الإنسان الظن بالمسلمين دائماً، ويعمل على ردع نفسه وهواه فيما يسيء الظن بهم، وأن يحمل أعمالهم على محمل الصحة والطيب والحسن لكي تتربى نفسه على ذلك، فيجب أن يرى الناس بعين الرضى دائماً"[1] ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول:

وَعَيْنُ الرِّضَى عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيْلَةٍ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا[2]

وهكذا يجب أن نربي شبابنا على هذه الروح، أي على حسن الظن، إذ يجب على كل إنسان أن يحسن ظنه بربه وأن لا ييأس من رحمته حيث يقول جل شأنه حكاية عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ (يوسف: 52).

4. التربية على التواضع

وذلك لأن التواضع يرتقي بالإنسان إلى أعلى المراتب عند الله تعالى وعند الناس، لذلك يحث القرآن الكريم عليه ويصف المتواضعين من عباد الله ويبين من هم، فيقول جل شأنه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾ (الفرقان: 63). هكذا يصف الباري عز وجل العباد المؤمنين

---

[1] النراقي، محمد مهدي، **جامع السعادات** علق عليه وصححه السيد محمد كلانتر وقدم له محمد رضى(النجف: منشورات جامعة النجف الدينية، 1962) ج1، ص283.

[2] الشافعي، الإمام محمد بن إدريس، **ديوان الشافعي**، جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي (بيروت: دار الجيل، د. ت)، ص116.

بأنهم متواضعوطن لا يتكبرون، حيث أنه مقابل ثنائه على المتواضعين ينهى عن التكبر الذي يفسد الأخلاق، ويضيع كل عمل صالح، فيقول جل شأنه: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (الإسراء: 37-38).

التكبر من أسوء الأخلاق وأشدها أذى للإنسان عند الله وعند الناس، إذ لا يحب الله المتكبرين ولا الناس يحبونهم، والتواضع يرفع الإنسان عند الله وعند الناس حيث ينص على ذلك قوله ﷺ: (من تواضع لله رفعه الله).[1]

هكذا يجب أن نربي شبابنا روحياً على كل هذه القيم الروحية والمعاني العظيمة لكي نحافظ عليهم من الانحراف والضلال، ونجعل منهم شعلاً من نور يقتدي بهم الناس، ويكونوا صورة حية وطيبة لأخلاق الإسلام ومبادئه العظيمة التي رسمها لنا في المنهج الرباني العظيم الذي أمر بكل خلق كريم ونـــهى عن كل خلق دنيء.

ثالثاً: التربية الدينية والخلقية

من أهم جوانب التربية للشباب هو جانب التربية الدينية التي تجعل من الشاب لبنة صالحة في المجتمع، لذا يجب تعليمه أمر دينه وما أوجبه الله تعالى عليه، ويكون ذلك من قبل الأبوين، إذ يوجه النبي ﷺ الآباء فيقول: (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر)[2] فأول الأمور الدينية أهمية الصلاة لأنها تهذب النفس وتعمق الأخلاق الفاضلة حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: 45).

---

[1] الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد** (القاهرة / بيروت: دار الريان، دار الكتاب العربي، 1407)، ج8، باب في التواضع، ص82، رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح.

[2] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج أبو عبد الله، **تفسير القرطبي**، تحقيق أحمد عبد العليم (القاهرة: دار الشعب، 1372)، ج18، ص195.

كما روى الأصمعي عن الإمام الصادق ﷺ قال: قال جعفر بن محمد: "الصلاة قربان كل تقي والحج جهاد كل ضعيف، وزكاة البدن الصيام، والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر، واستنـــزلوا الرزق بالصدقة"[1]

الصلاة تقوّم الأخلاق وتهذبها، وتقوي صلة الإنسان بربه، وهو ما يجب أن يداوم عليه الشاب ليكون على صلة دائمة بربه.

والصلاة تقوّي لديه الإيمان الذي يجب أن يتحلى به، ويستقيم في نفسه اليقين الذي يعيش معه بكل استقرار نفسي وعقلي، ويجب تهيئة البيئة الإيمانية الصالحة، وهذه مسؤولية المجتمع الإسلامي بأجمعه، إذ يجب الابتعاد عن كل مظاهر الفساد والانحراف.

ومن أسس التربية الدينية أيضاً الحرص على تعليم الشباب وحثهم على تلاوة القرآن الكريم والدوام عليها لما فيها من التعليم الكثير على الفضيلة والأخلاق الكريمة والحث على التفكر في كل ما حولهم، وجعل الشاب في تفكر في كل ما يقرأ من القرآن، وتهذيب نفسه على أساسه، وهو كما وصفه الباري عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 9).

كما يجب تربية الشباب على"احترام الناس ومخالطة العلماء، وتجنب مداخل السوء وعدم الدخول فيما لا يعني"[2] لأن مخالطة العلماء تعلم الفضيلة والعلم والآداب الاجتماعية.

وتعليم الشاب السلام، وإفشاءه بين الناس، إذ السلام من أهم الأسس في تنمية الروابط الاجتماعية، وهو من المقربات إلى الله تعالى، حيث يقول فيه النبي الأكرم ﷺ: «ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم».[3]

---

1 الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413)، ج6، ص262.

2 طعيمة، صابر، **منهج الإسلام في تربية النشء** (بيروت: دار الجيل، د. ت)، ص222.

3 مسلم، **صحيح مسلم**، ج1، باب لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ص74.

رابعاً: التربية العلمية والفكرية

العلم هو أساس بناء المجتمعات والشعوب والأمم وهو أساس بناء الإنسان لأن فضيلة العلم أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 9)، شبه العلم بالنور والجهل بالظلام.

وكذلك حث النبي الأكرم ﷺ في قوله: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».[1]

والعلم بكل جوانبه هو قوام المجتمع الإنساني، إذ نحن بحاجة إلى كل العلوم الدينية والدنيوية، ويجب على الآباء تعليم أبنائهم وإرسالهم إلى المدارس، لكي يتعلموا العلم.

وهذا منهج الإسلام في الحث على العلم والتفكير في مصلحة المسلمين، وليس كما عليه الشباب اليوم من اتباع المناهج الغربية وغيرها في تحصيل العلم أو عدم التفكير فيه، وحصر تقليدهم بالمادة مما يجعلهم أدوات فقط لجمع المال. والذي نرى اليوم كل المجتمعات غير الملتزمة بالمنهج الإلهي سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية تعاني من انحراف الشباب وتدني مستواهم العلمي، إذ لم يربوا على حب العلم ومعرفة فضيلته وفوائده للفرد والمجتمع.

ولا تقف التربية للشباب في المنهج الرباني عند حد من حدود التربية، بل تشمل كل جوانب التربية السليمة بما فيها من تربية على العيش في المجتمع وبين أفراده بأدب وأمان ومحبة وانسجام.

---

[1] السجستاني، أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دارالفكر، د. ت) ج3، باب الحث على طلب العلم، ص317، حديث رقم 641.

خامساً: التربية الاجتماعية

رسم الباري عز وجل في هذه التربية منهجاً عظيماً في تربية الفرد على التعايش مع أبناء جنسه بأمان وسلام، لكي يكون لبنة صالحة بينهم، ويؤثر فيهم بما يحمله من خلق رفيع وأدب إسلامي كريم، وذلك من خلال تربيته على الآداب التالية:

1. أدب السلام

يجب أن نربي أبناءنا وفق المنهج الإلهي العظيم الذي رسمه لعباده في الحياة، والسلام من أهم الأسس التربوية التي تعمق الصلة بين الناس، وتحقق الأمان والاطمئنان لبعضهم البعض، لما له من أثر نفسي وتربوي واجتماعي بينهم، ويوجه لذلك النبي الكريم ﷺ فيقول فيما روي: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم.»[1]

ويعلم ذلك الأدب للإنسان (أدب السلام) الباري عز وجل في كتابه الكريم فيقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: 27)، لأن السلام يدل على المحبة بين الناس، والدخول إلى بيوتهم، واطمئنان نفوسهم إلى القادم إليهم يكون بالسلام.

لذلك يجب تعليمه للشباب وغرسه في نفوسهم لكي يجعلوه سلوكاً دائماً لهم حتى في دخولهم إلى بيوتهم وهي خالية، حيث يوجه الباري عز وجل لذلك بقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ (النور: 61) لأن هذا الأدب عندما يكون في النفس ويتأصل بها يكون فعله كبيراً وعظيماً وأثره في الإصلاح الاجتماعي كبيراً.

---

[1] ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993/1414)، ج1، ص471-472.

2. أدب الكلام

كل فرد يعيش مع الناس ويستأنس بهم "لأن الإنسان أخ الإنسان، أحب أم كره، ونزعة الإنسان إلى الاجتماع بالناس ولقائهم والتحدث معهم نزعة فطرية، ومن أجل هذا كان منع الإنسان من الاختلاط بالناس والتحدث معهم عقوبة تفرض عليه إذا اقترف ذنباً فيوضع في السجن."[1] فلكي يعيش الإنسان مستقيماً مع الناس ويكون محبوباً لديهم ويستأنسون به لابد من اتباع المنهج الإلهي في حياته وسلوكه.

وقد رسم الله سبحانه وتعالى له منهجاً في ذلك بينه من خلال توجيه لقمان عليه السلام لابنه لهذا الأدب الرفيع بنص قوله تعالى حكاية عنه: ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: 18)، والصعر هو الإعراض والميل فيقول لابنه: لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلموك.

وبعد ذلك يوجهه فيقول: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان:19).

هكذا يرسم الله سبحانه وتعالى أعظم منهج تربوي في أدب الكلام لما له من الصلة في بناء شخصية الإنسان السليمة والمجتمع المتحاب المتعاون، وهذا لا تجده في أي منهج آخر سوى المنهج الرباني العظيم، إذ يجب أن نربي شبابنا المسلم عليه، وما تحدثه هذه التربية للفرد والمجتمع.

3. احترام الكبير والعطف على الصغير

الشاب في نفسه دائماً نزعة إلى القوة والاعتزاز بالنفس أكثر من المطلوب، ويحاول أن يظهر ذلك دائماً وفي أي شكل، ولكن الباري عز وجل لم يترك ذلك لهواه، بل وضع له منهجاً في ذلك كله وخصوصاً فيما يتعلق بمن حوله من الناس، لذلك يجعل الباري عز وجل من طرق تهذيب هذه النزعة فينفس الشباب وغيرهم

---

[1] ملا عثمان، حسن، **تربية الإنسان المسلم**، ص29 – 30.

أن يرسم لهم الطريق في التعامل مع الناس، وهو ما يجب أن نربي شبابنا عليه، وذلك من خلال تعليمهم وجوب احترام الكبير لما له من أثر في نفوس الناس واحترامهم لمن يحمل هذا الخلق الرفيع، ولما له من أثر على حياة الشاب ومستقبله حيث يوجه لذلك الرسول ﷺ بقول: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه»[1] ويقول الرسول ﷺ أيضاً: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه[2] وإكرام ذي السلطان المقسط»[3] احترام الكبير، يجب أن يكون عليه خلق الشباب المسلم لكي يحظوا برضى الله واحترامهم عند كبرهم. والعطف على الصغير من أعظم مظاهر الرحمة عند الإنسان، فإذا نزعت الرحمة من قلب الإنسان لا يحترم كبيراً ولا يرحم صغيراً، وهذا الخلق ما ينهى عنه الإسلام أعظم نهي، ويجعل من يحمل هذا الخلق السيّئ ليس مسلماً، حيث يقول النبي الأكرم ﷺ فيما روي: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا.»[4]

هذا ما رسمه المنهج الرباني في التعامل مع الناس كبارهم وصغارهم، لكي يحظى الإنسان بحبهم واحترامهم، وهو الذي يجب أن نربي أبناءنا عليه منذ الطفولة حتى الشباب، لكي ينغرس فيهم غرساً طيباً يؤتي أكله كل حين محبة ورحمة وألفة في هذا المجتمع الإنساني الكبير والهداية إلى الإسلام من لا يعرف عنه شيئاً وعن أخلاقه وتربيته.

4. رعاية الجار واحترامه

حسن الجوار في المجتمع له أبلغ الأثر في استقرار المجتمع إسلامياً كان أو غير إسلامي، إذ يحقق الأمان والاطمئنان بين أفراده والعيش الكريم براحة وهناء.

---

1 النووي، محيي الدين زكريا، **رياض الصالحين** (بيروت: دار الكتاب العربي، 1973/1393)، باب توقير العلماء والكبار، ص169.

2 أي التارك له، والبعيد عن تلاوته والعمل بما فيه.

3 النووي، **رياض الصالحين**، باب توقير العلماء، ص168.

4 الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، ج1، ص131، وقال صحيح على شرط مسلم.

لذلك أولى الإسلام ذلك أعظم الأهمية في ترسيخه في نفوس الناس والمسلمين أولاً، وجعله منهجاً للخلق، فيقول الباري عز وجل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ (النساء: 36).

ومعنى ﴿الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي الجار القريب ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أي البعيد و ﴿الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ الرفيق المجاور في السفر أو العمل أو الجلوس، فيأمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الجار واحترامه، ويؤكد ذلك الرسول ﷺ فيقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه ليورثه[1] ويؤكد على وجوب احترام الجار وعدم إيذائه ووجوب الإحسان إليه، فيقول صلوات الله وسلامه عليه فيما روي: أنه قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال: جار لا يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه ؟ قال شره.»[2]

فالذي يؤذي الجار لا يؤمن بالله، وإذا لم يؤمن بالله استحق غضبه وسخطه وطرده من رحمته، ويقول ﷺ: مؤكداً ذلك المعنى «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».[3]

هذا هو المنهج الرفيع في التربية التي يجب أن ينهجه كل مجتمع ينشد الفضيلة والرفعة والاطمئنان، إذ الجوار والتعاون بين الجيران يجعل المجتمع آمناً مطمئناً يعيش أبناؤه حياة كريمة هانئة، وينظر بعضهم إلى بعض باطمئنان ومحبة، وهذه الأخلاق يجب أن تغرس في نفوس الأطفال والشباب، لكي ينشؤوا عليها.

---

1 الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، ج4، باب الوصية بالجار، حديث رقم 2624، ص2025، وانظر النووي، **رياض الصالحين**، ص148، بلفظ «حتى ظننت أنه سيورثه».

2 الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، ج1، ص53، وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

3 الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، ج4، باب بيان تحريم إيذاء الجار، ص68.

وهكذا كان حال المجتمع الإسلامي قبل زمن قصير، أما اليوم فنحن نعيش حالة من الجفوة بين الجيران، بل بين الإخوان، جعلت المجتمع الإنساني اليوم ينظر فيه الجار إلى جاره نظرة ريـــبة، لأنه لا يعرفه ولا يكاد يسلم عليه، وهذه من مظاهر تفكك المجتمع ومظاهر الهدم فيه، نتيجة عدم اتباع المنهج الإلهي العظيم الذي يكفل لكل البشر راحتهم وأمانهم وصلاحهم إذا تمسكوا به سواءً كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

هذه بعض الأسس التربوية في التربية الاجتماعية، وما يحتويه المنهج الرباني من قواعد التربية الاجتماعية الكثير الكثير، إذ يرسم لكل حياة البشر وكل دقيقة فيها منهجاً تربوياً عظيماً في الحياة المستقيمة المستقرة الهانئة بكل أشكالها وتفاصيلها.

هذا هو المنهج الإلهي الذي رسمه الله تعالى لعباده في التربية والإصلاح للجميع، والشباب بشكل خاص لأنهم عماد المجتمع، وهم رجال المستقبل، وهم الذين يبنون كل المجتمعات، فإذا أسسوا تأسيساً صحيحاً وفق منهج سليم، أسست قاعدة قوية في المجتمع.

لذا يجب على كل المجتمعات الإنسانية النظر إلى ما يصلح شبابهم وانتقاء المنهج القويم والسليم الذي يكفل ذلك لهم، والمنهج الرباني في دين السلام هو المنهج الوحيد الذي يحقق ذلك، وهذا ما يثبته الواقع.

فلو درسنا كل المناهج التربوية للشباب وغيرهم، التي تعتمدها المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية اليوم، لوجدنا أن كل ما تعانيه البشرية اليوم، وخصوصاً أهم شريحة منهم وهم الشباب، هو نتيجة افتقار تلك المناهج إلى كثير مما يجب أن يكون في أسس تربيتهم وكثيراً من الضوابط التي يجب أن تتبع وتوضع للناس، لكي لا ينحرفوا ويكونوا عرضة للهلاك الذي يأتي على بناء المجتمع بأكلمه.

ولو نظرنا مثلاً إلى الشباب غير المسلم وما تعيشه البشرية اليوم من عدم اتباع منهج سليم وصحيح في التربية، لوجدنا إلى أي مدى من الضياع والتشرد والانحلال وصل الشباب ، وخصوصاً الدول الأوربية والغربية التي لا يحكمها ضابط أخلاقي ولا

وازع ديني يحدد سلوك أفرادها نحو طريق الخير والصلاح، لأنها رسمت لنفسها مناهج منحرفة، جعلت من مجتمعاتهم مجتمعات مريضة بكل أشكال الرذيلة والانحراف والانحلال، حيث تركوا للشباب الحبل على الغارب أولاداً وبناتٍ يعيشون كالحيوانات، وتركوا لهم الحرية في كل شيء، حتى أصبح الانحراف الأخلاقي هماً كبيراً تعاني منه تلك المجتمعات. ففي أمريكا مثلاً نجد أن الشباب الأميركي يفضل المرح والجنس العابر على الزواج.[1] هذه العبارات ومعها تعليق طويل من قبل الصحف الأمريكية نفسها، تبين خطأ هذا السبيل وانحرافه.

وقد تأثر الكثير من المسلمين بذلك، وشبابهم بوجه خاص، فأصبحوا يعزفون عن الزواج ويفضلون الانحراف على الالتزام، مما جعل حتى المتزوجين منهم لا يفكرون في الإنجاب إلا قليلاً أو لا يريدون أن ينجبوا أطفالاً من أجل متعته أو خوفاً من أسباب العيش، وهذا كله يؤدي إلى هدم المجتمع، وإذا فسد الشباب فسد المجتمع وضاعت كل فرصة له في الحياة الكريمة لجميع أفراده.

وما يحصل اليوم بفضل التقدم العلمي والتكنولوجي من نقل للمناهج المنحرفة والأفكار والأخلاق السيئة التي تسيء إلى كل القيم الأصيلة والصحيحة في بناء المجتمع، لا يمكن معه المحافظة على هذا البناء واستقامته.

أما اليوم ونحن نعيش عصر العولمة التي جعلت من العالم قرية صغيرة واحدة بفضل التقدم العلمي والتقني وثورة الاتصالات الكبيرة التي أصبح من خلالها الإنسان يتعرف على عادات وتقاليد كل الدول في أنحاء العالم، وتنقل له هذه الوسائل العلمية كل الأخلاق التي تتمتع بها شعوب العالم الإسلامية وغير الإسلامية، نقف أمام مشكلة كبيرة وهي قلة أو غياب البرامج الإسلامية التي تعرض في التلفزيون، وخصوصاً الأفلام والمسلسلات إلا ما ندر.

أما الإنترنت فنجد فيه نسبة المواقع الإسلامية للمواقع الأخرى قليلة جداً، وبهذا

---

1 شبكة الإنترنت دراسة أجراها مشروع الزواج القومي بجامعة روتجرز arabrabia.com 2001/4/11.

الشكل يكون أثر التلفزيون والإنترنت السيئ كبيراً جداً، لأن ما يعرض فيه من السيئ كثير، ولأن التلفزيون اليوم ينقل من جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية، وما يعرضه من الأفلام والمسلسلات الغربية والماجنة البعيدة عن كل الفوائد التربوية والتعليمية للأطفال والشباب والكبار، كلها تنقل الأخلاق الغربية إلى البلاد الإسلامية التي تجعل الشباب معها يتشربون بتلك الأخلاق، وهذه الوسائل اليوم لها أثر كبير في التربية لأنها دخلت البيوت والمجتمعات كلها مع غياب الدور الرئيسي للأب والأم، وبذلك يكون التلفزيون أو الإنترنت هو المربي البديل، وهو المثقف الذي يـــبني ثقافة الشباب.

كان في الماضي القريب الأبناء يربون في كَنَفِ والديهم يتعَلَّمُونَ الأخلاق والعادات الطيـــبة التي ورثوها عن آبائهم أو عن دينهم، حيث لم يكن هناك التلفزيون وهذه الوسائل للإعلام التي غزت العالم، وخصوصاً المجتمع الإسلامي حيث كان الشباب يبدؤون منذ طفولتهم بالدراسة في الكتاتيب الذين كانوا يعلمون أول ما يعلمون القرآن الكريم الذي يسقي روح الطفل والكبير بالفضيلة، كما يسقي الماء النقي الزرع لينمو سليماً يانعاً يزهو للأنظار ويؤتي أكله الطيب، و لم يكن في ذلك الوقت يسمع إلا الكلمة الطيبة، وما عدى ذلك يعد انحرافاً، وقد أشار الله سبحانه وتعالى لفضل الكلمة الطيبة بقوله جل شأنه: ﴿مَثَلُ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم: 24) والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة لا تؤتي إلا بخبيث الثمار.

ومقابل هذا المنهج الرباني العظيم أصبح اليوم الآباء بعيدين عن أبنائهم فينشؤون ويشبون وهم بحاجة شديدة لتلك الأسس العظيمة للتربية، والتي يفتقرون إلى التأسيس عليها. وابتعاد الآباء عن الأبناء ودخول التلفزيون كل بيت والإنـــترنت أيضاً أصبحت هذه الوسائل الشريك الكبير في التربية، بل أصبحت المربي البديل الذي يعلم الأبناء ما يعرض فيه.

ورغم أن هذه الوسائل فيها فوائد وفيها أضرار، لا تكاد فوائدها تذكر أمام أضرارها، وخصوصاً في غياب دور المربين أو الآباء في التربية، حيث أصبحت الأضرار

أكبر خطراً على تربية الشباب بشكل خاص مقابل الفوائد الموجودة، لما لهذه الوسائل من استخدام سيئ من كثير ممن يقومون عليها في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وقد ذكرت في أثرها على الأطفال بعض الإحصائيات التي تبين ما يعرض فيها وسوء ذلك.

وقد تحدث عن ذلك علماء الغرب أيضاً الذين يصدرون إلينا هذه البرامج والأفلام التي لا تصلح لهم ولشبابهم، وقد لمسوا آثارها السيئة، وهم يحذرون منها، فكيف بشبابنا المسلم الذي يجب أن يكون صورة للمنهج الرباني العظيم في الرفعة والتربية الصحيحة؟ وقد أعدوا في الغرب دراسات ولجان لبحث هذه البرامج السيئة على الأحداث والشباب.

ففي مجلس الشيوخ الأمريكي شكلت لجنة لبحث أسباب جنح الأحداث في أمريكا فنجد ما نقل عنهم "أن أعضاء اللجنة الفرعية يساورهم القلق الذي يساور قطاعاً كبيراً من أهل الفكر بشأن الملابسات الناشئة عن تأثير الجهاز المرئي على المستويات الخلقية والثقافية لشباب أمريكا، بسبب تعرضه المشبع للأفلام والدراما التي ترتكز في فكرتها الأساسية على شريعة الغاب والجريمة التي تصور عنف الإنسان."[1]

وينقل في ذلك الدكتور عبد الرحمن عيسوي عن أحد المفكرين الغربيين قوله: "يجد الأحداث نماذجهم في الأفلام التلفزيونية، كما يجدونها في السينما والصحافة وفي الكتب، لذلك فإن علماء السلوك ينتقدون الإدارة التلفزيونية على تصوير الجريمة والعنف بصورة أكبر من حجمها في الحياة والطبيعة، وينتقدون ملء الأخبار بالنشاط الإجرامي والعنف واستخدامه في الأفلام والمسرحيات، لأنه يفسد القيم التي يعتنقها الشباب، ويشوه المعلومات عنها، ولذلك فقد يميل بعض الشباب إلى تجريبها".[2]

فإذا كان مفكرو الغرب قد تنبهوا إلى أن التلفزيون هو أداة هدم وتخريب لقيم

---

1 رايت، تشارلز، **المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري**، ترجمة محمد فتحي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت)، ص138.

2 عيسوي، عبد الرحمن، **الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون** (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت)، ص68.

الشباب وأنه يعلمهم العنف والجريمة، والأخلاق السيئة وحذروا منه، مع ما هم عليه من غياب للقيم السامية التي يتربى عليها الشباب. فكيف ونحن أهل القيم؟ وأن كل هذه القيم التي يقوم عليها بناء الشباب تتعارض تماماً مع كل ما يُعرض اليوم على شاشات التلفزيون، وهذه الأشياء السيئة والمنحرفة هم حذروا منها، ونحن نستوردها، ولا تكاد تجد ساعة تخلو من هذه البرامج التي أشاروا إلى سوءها وأضرارها، فما هو الأجدر بنا؟ أنترك التربية لشبابنا يتولاهم بها التلفزيون وبهذه الطريقة التي لا يرضاها حتى المنحرفون؟ أم نعود إلى المنهج الرباني في التربية التي تحافظ على هذه الشريحة المهمة التي يقوم عليها بناء المجتمع؟ هذا ما يجب أن يسأل عنه القائمون على هذه الخدمات في مجتمعاتنا اليوم.

هذه الدراسات الغربية كلها قديمة قد تكون قبل عشرين عاماً فما بالك اليوم!.

وقد تنبه لذلك أيضاً بعض المفكرين المسلمين، وفي البلاد الإسلامية والعربية، فأجروا مثل هذه الدراسات على الشباب، ومن ذلك ما قام به الدكتور محيي الدين عبد الحليم من دراسة على الشباب الجامعي في مصر من بحث للآثار السلبية للتلفزيون على الشباب، حيث درس 600 شاب من جامعات مصر الست المعروفة وهي الأزهر، القاهرة، عين شمس، الإسكندرية، أسيوط، طنطا، وتبين له من خلال ذلك أن كثيراً من التمثيليات والمسلسلات التلفزيونية لم تقدم جديداً يفيد، إذ تعالج قضايا مملة وغير مشوقة، وتساعد على انحراف الشباب، وتقتل الوقت بلا مسوغ، ولا تتناول قضايا المجتمع ومشاكله:[1]

وقد ذكر في بحثه هذا أن الشباب اليوم في خطر كبير، لما لهذه البرامج والمسلسلات والدراما التلفزيونية من آثار سيئة عليهم حيث تحطم قيمهم وأخلاقياتهم، وتدفعهم إلى الرذيلة.

وهذه الدراسة كانت في الثمانينات من القرن الماضي، ونحن مع هذا التطور السريع والهائل في التقدم العلمي والتقني بشكل خاص في وسائل الإعلام والتلفزيون وتوابعه اليوم من فيديو وفيديو سيدي وغيرها، بالإضافة إلى الإنترنت الذي هو أكثر تقدماً

---

[1] عبد الحميد، محيي الدين، **الدراما التلفزيونية والشباب الجامعي** (القاهرة: عالم الكتب)، ص145.

وأكثر احتواءً للبرامج و المرئيات ووسائل اللهو والإفساد.

أما ما جاء في الدراسة حول فوائد التلفزيون فلا يتعدى الحصول على بعض المعلومات النافعة، وهذا قليل جداً فيما يقدمه التلفزيون من برامج اليوم، فلا تكون هذه المعلومات النافعة مقابلة للمعلومات الضارة.

أما الأضرار التي يسببها التلفزيون فقد ذكر الشباب المبحوثين أضرارا شتى ومختلفة للتلفزيون وبنسب متفاوتة حول كل منها. وفيما يلي جدول توضيحي لذلك:

أضرار التلفزيون على الشباب وفق رأي المبحوثين	نسبة المبحوثين	الملاحظات
مشاكل اجتماعية	% 40	هذه الأضرار التي ذكرها المبحوثون على اختلاف في نسبة كل منها وهي تمثل الأضرار التي ركزوا عليها وأكدوا عليها في أجوبتهم على الاستبيان
ضياع الوقت	% 90	
صرف المال	% 80	
تأثير سيئ على سلوك الشباب	% 60	
يسبب كسلا في الدراسة	% 30	
يلهي الإنسان عن مسؤوليته ويعلمه عدم الشعور بها	% 20	
عدم التركيز في الدراسة	% 30	
الإدمان على مشاهدة التلفزيون	% 10	
يعلمهم العنف والجريمة	% 60	
يغير طباع الشباب الحسنة بفعل العادات الدخيلة على الشباب المسلم	% 50	
مضر بالصحة	% 20	
يؤثر على المستوى الدراسي للشباب	% 30	
يعلم الأخلاق السيئة للشباب من خلال الأفلام السيئة	% 70	

هذه الأضرار والآثار التي يسببها التلفزيون للشباب وفق منظور شريحة منه، وهم

يشاهدون التلفزيون، والسبب في ذلك يعود إلى غياب المنهج التربوي الصحيح للشباب بسبب ما يعانونه من فراغ في حياتهم اليومية، وأن هذا الفراغ لا يوجد من البرامج الطيبة مثل البرامج التعليمية والدورات التدريبية على الرياضة أو العلوم أو تعليم القرآن الكريم، ما يملأه، لذلك يجد الشباب في التلفزيون بديلاً لكل هذه البرامج التربوية وخصوصاً وهم في أوج القوة في الجسم والشهوة وكافة الغرائز.

فإذا لم تكن هناك برامج تربوية لتهذيب هذه الرغبات في الشباب، وهناك برامج تخريبية توجه هذه الرغبات نحو الانحراف، فيكون أثرها كبيرا في سلوك الشباب وأخلاقهم، فما هو الحل أمام كل هذه الأخطار المحدقة بالشباب؟. وإذا فسد الشباب فسدت الأمة، لأنهم رجالها في المستقبل، فإذا أنشئوا على الفساد جبلوا عليه، إذ من شب على شيء شاب عليه.

بالإضافة إلى التلفزيون أصبحت اليوم الإنترنت جزءاً من العولمة التي استطاعت أن تدخل في كل مجالات الحياة، بما تحمله من فوائد وأضرار، يجب أن ينتبه إليها المربون والمفكرون ليجعلوا منها مصدر فائدة ومصدر إعمار وبناء لا مصدر تخريب.

وما يعرض من تخريب للأخلاق والأفكار في الإنترنت ليس موجهاً للمسلمين فقط بل إلى جميع البشر، حيث أصبح العالم كأنه قرية واحدة أو غرفة واحدة إذ ما تشاهده في مكانك يشاهده الناس في جميع أنحاء العالم.

وقد أصبح الإنترنت وسيلة من وسائل الاتجار بمختلف أشكاله بالغالي والرخيص، فمن يتاجر بالفكر، ومن يتاجر بالإباحية والبرامج السيئة التي تدمر وتخرب المجتمعات، حيث لا ضابط ولا رادع لهؤلاء.

وشبكة الإنترنت في العالم الإسلامي اليوم أكثر مرتاديها هم الشباب، لذلك فإنهم أكثر من يتعرض لمخاطرها، حيث تعددت فيها وسائل الإغواء والإغراء، واصبح الإنترنت وسيلة اتصال بين الشباب من الجنسين، إذ لم يكن ذلك في الواقع، لأن

المجتمع الإسلامي ينبذ ذلك فأصبح الإنترنت يوفره بديلاً، وأصبح التعارف المشبوه شعارا للكثير ممن يرتادون مواقع الإنترنت بحجة فتح المجال أمام الشباب للتطلع واكتساب الخبرات، فانطلق الشباب المكبوت الذي يعاني من فراغ كبير في حياته، وإذا كانت هناك عوامل الحرية والمراهقة وغياب التربية، فماذا تتوقع أن تكون النتيجة لذلك الانطلاق؟.

هذا في المجتمع الإسلامي الذي رسم الله سبحانه وتعالى له أعظم منهج في الحياة والتربية، فلم يلتزم به ويتبعه فأصبح في خطر كبير وخطير أدى إلى انحراف أعداد كبيرة من الشباب المسلم الذي أصبح يعاني اليوم من التخلف وتدني المستوى العلمي، وعزوف عن الزواج وعنوسة لدى الفتيات، كل هذا بسبب غياب المنهج الرباني في التربية وعدم الالتزام به.

هذا بالنسبة للشباب المسلم أكبر خطر من الأخطار الأخرى التي تهددهم إذ تهدم البناء الاجتماعي الرصين الذي يقوم على المنهج الرباني العظيم الذي رسمه لنا الباري عز وجل في كتابه الكريم وترجمه عملياً سيدنا محمد ﷺ.

أما الشباب غير المسلم فحدث ولا حرج، أصبحت الإباحية والانحراف شعاراً لهم، وهذا ما تطالعنا به كل يوم شاشات التلفزيون ومواقع الإنترنت والدراسات التي تبين ذلك.

وقد أجرويت العديد من الإحصاءات والدراسات حول هذه الآثار السيئة للإنترنت، وجاء في أحد الإحصاءات أن واحداً من بين كل خمسة من المراهقين الأمريكيين الذين اعتادوا الدخول إلى شبكة الإنترنت تلقوا محاولات غير مرغوبة لاستدراجهم لممارسة الجنس عبر شبكة المعلومات الدولية.

ونسبة 19 % من 1500 من الشباب الذين شملهم الإحصاء تتراوح أعمارهم بين العاشرة والسابعة عشرة تعرفوا لمحاولات لاستدراجهم لممارسة الجنس، وتتم هذه من خلال الحوارات والدعوات وعرض الصور الفاضحة والأفلام الجنسية التي تؤدي إلى

الانحراف لدى الشباب.

وكتب لمبرلي ميشيل من مركز أبحاث الجريمة ضد الأطفال بجامعة نيو هامشاير في دورام يقول:"من منظور المخاطر، الفتيات والشباب الأكبر سناً من 14 –17 عاماً كانوا أكثر عرضة للاستدراج وكانت النسبة الأعلى لدى الشباب الذين يعانون من المشاكل، كما ازدادت النسبة بين من يستخدمون الإنترنت أكثر ويشتركون في غرف الحوار أو يتحدثون إلى الغرباء عبر الإنترنت ويستخدمون الإنترنت من بيوت غير بيوتهم."[1]

هذه بعض الإحصائيات، وهي لا تعد ولا تحصى في الغرب اليوم، فقد بدأ المجتمع الغربي يعاني من الكثير من الأمراض الاجتماعية والخلقية وكثرة المواليد غير الشرعيين بسبب الإباحية التي بدأت تفقدهم رجالهم، مما حدا بالكثير من بلدان أوربا وأمريكا إلى فتح أبواب الهجرة من البلدان الفقيرة والمحرومة لسد النقص الذي يعانون منه، حيث يذكر بعضهم أن الجنس الأوربي والأمريكي معرض للانقراض بسبب الإفراط في الشهوات وعدم الالتزام بمنهج صحيح في ذلك.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة تبرز جملة نتائج لابد من الإشارة إليها وهي كما يلي:

1. إن الشباب اليوم مسلمين وغير مسلمين أحوج ما يكون إلى منهج تربوي سليم يحافظ على مستقبلهم وبنائهم العقلي والنفسي والأخلاقي والعلمي، سيما وهم يتعرضون إلى أسوأ المؤثرات السلبية التي لم يسبق للإنسانية أن واجهت مثلها على مر العصور، بسبب سياسة العولمة الخاطئة التي ينتهجها البعض ممن لا يؤمنون بالقيم والأخلاق النبيلة التي تساعد على حماية الإنسانية من الضياع والدمار في إنسانيتها التي أصبحت اليوم مهددة أكثر من أي وقت مضى.

---

[1] هذه المعلومات من شبكة الإنترنت وتنشر باستمرار ويمكن الاطلاع عليها من خلال الكثير من المواقع الإسلامية التي تدعو إلى الحد من استعمال الإنترنت بالطريقة السيئة والتحذير من المخاطر وبيانها.

2. رغم الاجتهاد والعمل المتواصل من قبل التربويين والمفكرين في كل أنحاء العالم وبمختلف تكويناتهم النفسية والدينية والعرقية، من أجل إيجاد منهج تربوي يعالج الأخطار المحدقة بالبشرية بكل أفرادها، فقد عجزوا عن ذلك بسبب تجاهلهم لأعظم منهج تربوي، وهو منهج الإسلام الرباني المصدر، الذي يجب عليهم أن يبحثوا فيه من أجل الوصول إلى ما يصبون إليه من الخلاص مما تعاني منه مجتمعاتهم بعيداً عن التعصب الديني أو العرقي أو القومي.

3. منهج الإسلام هو منهج رباني مصدره إلهي بعيد عن كل الأهواء والمؤثرات التي تعتري البشر بسبب ما يحمله من فكر أو بسبب ما ينتمي إليه من عرف أو قومية، أو هوى النفس البشرية. ينظر إلى مصلحة البشر أنها مطلب إلهي للخلق كي يرتقوا إلى مستوى الفضيلة التي أرادها الله سبحانه وتعالى لعباده لإنقاذهم في الدنيا مما يعانون منه من أمراض خلقية تأتي على كيانهم ومستقبلهم وإنقاذهم في الآخرة مما ينتظرهم من حساب وعقاب أعده الله سبحانه وتعالى لمن ينحرف منهم، فخاطبهم جل شأنه على لسان أنبيائه جميعاً عليهم السلام بأن يلتزموا المنهج الرباني الذي جاؤوا به من الله تعالى.

4. إن الوسائل العلمية الحديثة أو ما يسمى بأدوات العولمة، فيها منافع للناس ومضار، إلا أن مضارها أكبر من منافعها بسبب الانحلال والتسيب الذي عليه هذه الوسائل، وغياب المراقبة والتهذيب لما يعرض فيها ولما يقدم من خلالها.

5. إن أكبر شريحة في المجتمع هي الشباب، حيث تعد العمود الفقري لكل مجتمع، وتعد أكثر من يتأثر بهذه الوسائل العلمية الحديثة لما لهم من تماس مباشر معها بحكم كونهم في فترة التحصيل العلمي والمعرفي، وفي فترة البناء العقلي والنفسي والبدني. لذلك لابد أن يتركز اهتمام المربين والعلماء على هذه الشريحة المهمة، إذ بصلاحهم يصلح المجتمع ويكون مستقبله آمناً، وبفسادهم وتخلفهم يفسد المجتمع وينهار، ويكون مستقبله مهدداً بالتشرد والتخلف والضياع.

وبناءً على هذه النتائج المختصرة تبرز جملة توصيات أرى من الضروري الإشارة إليها:

1. يجب على العلماء والمفكرين والمربين المسلمين، أن يعملوا كل ما بوسعهم لإظهار المنهج الإسلامي العظيم بالشكل الذي هو عليه في أصالته، وعدم المبالغة أو التشدد فيما يمكن الاجتهاد فيه أو ما يمكن تعليمه للناس، تطبيقاً لهذا المنهج العظيم، والعمل على تقديمه وصفة شافية للبشرية مما تعاني من أمراض اجتماعية وخلقية أتت على كل خير في مجتمعاتها وشبابها الذي أصبح ينتظر الضياع والانحلال الذي لا علاج له.

2. يجب أن ينتبه الآباء والأمهات إلى أبنائهم في هذه المرحلة المهمة من عمرهم لأنها أخطر مرحلة يمرون بها فإذا أسسوا وفق القيم والمثل الإسلامية، وحملوا خلق الإسلام عملياً في هذه المرحلة بالذات، استطاعوا أن يبنوا أسراً ومجتمعات ناجحة وسعيدة وآمنة تخدم نفسها وتخدم البشرية لما يحقق لها السعادة في الدنيا والآخرة.

3. إن على القائمين على أمور المسلمين أن ينتبهوا إلى هذه الوسائل العلمية الحديثة، ويجعلوها وسائل بناء لا وسائل هدم لمجتمعاتهم، وذلك من خلال تهذيب ما يقدم من خلالها ومراقبة هذه الوسائل مراقبة شديدة وعدم عرض ما يؤدي إلى انحراف الشباب والمجتمع، والعمل على تقنين مايمكن استقباله عن طريق شبكة الإنترنت ومحاولة الاقتصار على القنوات النافعة منه، حيث أصبح ذلك ميسوراً بفضل التقدم العلمي في هذا المجال، والذي أصبح ميسراً لكل بلاد الأرض.

إن على الشباب المسلم أن ينتبه إلى مستقبله وأن يفكر جيداً فيما يعرض عليه من مغريات تؤدي به إلى الهاوية، وأن ينظروا إلى الشباب الغربي ما الذي حل بهم نتيجة التسيب والانحلال وعدم الانضباط حد أو الوقوف عند رغبة أو قيم أو مثل تصلح له ذاته وتصلح مجتمعه الذي يعيش فيه، والعاقل من اعتبر بغيره.